

58

قصص

الأنبياء

محمد

صلى الله عليه وسلم (2)

قريش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَسُورَةُ الْاَنْعَامِ الْاَنْعَامِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي





بعد وفاة قصي بن كلاب تولّى بنوه الأربعة : عبد
الدار ، وعبد مناف ، وعبد العزى ، وعبد أمر قريش
وأمر قومهم من بعده ، وكان قصي قد خص
ولده الأكبر عبد الدار بأمر البيت الحرام ،

فَجَعَلَ الْحِجَابَةَ وَاللُّوَاءَ وَالسَّقَايَةَ وَالرَّفَادَةَ

فِي يَدِهِ ؛ لِيَجْعَلَ لَهُ شَرْفًا مِثْلَ شَرَفِ إِخْوَتِهِ الثَّلَاثَةِ فِي قَوْمِهِمْ .. وَقَدْ أَقَرَّتْهُ قُرَيْشٌ عَلَى ذَلِكَ ، وَأَقَرَّتْ إِخْوَتُهُ عَلَى الْقِيَامِ بِأَمْرِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَبِيهِمْ قُصَيٌّ ..

وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ بَنِي قُصَيٍّ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ اخْتِلَافٌ وَلَا تَنَازُعٌ ، وَتَوَارَثَ بَنُو عَبْدِ الدَّارِ وَلَايَةَ الْبَيْتِ بَعْدَ أَبِيهِمْ ، وَقُرَيْشٌ تَقَرُّ لَهُمْ بِذَلِكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ..

وَلَكِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ بَنُ قُصَيٍّ ، وَهَاشِمًا وَالْمُطَلِّبُ وَنَوْفَلًا أَجْمَعُوا عَلَى أَنْ يَأْخُذُوا مَا بَأْيَدِي بَنِي عَبْدِ الدَّارِ مِنَ الْحِجَابَةِ وَاللُّوَاءِ وَالسَّقَايَةِ وَالرَّفَادَةِ ، وَرَأَوْا أَنَّهُمْ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنْهُمْ لِشَرَفِهِمْ عَلَيْهِمْ ، وَفَضْلِهِمْ فِي قَوْمِهِمْ ..

فَلَمَّا حَدَثَ ذَلِكَ تَفَرَّقَتْ قُرَيْشٌ ، وَانْقَسَمَتْ إِلَى ثَلَاثِ طَوَائِفٍ ، فَكَانَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ أَحَقُّ بِهَذَا الشَّرَفِ مِنْ

بَنِي عَبْدِ الدَّارِ لِمَكَانَتِهِمْ فِي قَوْمِهِمْ .

وَكَانَتْ طَائِفَةٌ مَعَ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ ، وَكَانُوا يَرَوْنَ الْأَنْزِعَ مِنْهُمْ هَذَا الشَّرَفَ الَّذِي خَصَّهُمْ بِهِ فَصَيَّ
وَكَانَ هُنَاكَ قَرِيبُ ثَلَاثٍ مِنْ قُرَيْشٍ لَيْسَ مَعَ هَؤُلَاءِ
وَلَا هَؤُلَاءِ .

وَعَقَدَ كُلُّ قُرَيْشٍ عَلَى أَمْرِهِمْ حَلْفًا مُؤَكَّدًا ، تَعَاهَدُوا
فِيهِ عَلَى الْأَيْتِحَادِ ، وَأَنْ يَنْصُرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ،
وَأَخْرَجَ بَنُو عَبْدِ مَنَاكَ حَقْنَةً (وَغَدَمٌ) مَسْبُوءَةً طَبًا ،
فَوَضَعُوهَا لِحُلْفَائِهِمْ عِنْدَ الْكَعْبَةِ ، ثُمَّ غَسَسَ الْقَوْمُ
أَيْدِيَهُمْ فِيهَا ، فَتَعَاهَدُوا وَتَعَاهَدُوا مَعَ حُلْفَائِهِمْ . ثُمَّ
مَسَحُوا الْكَعْبَةَ بِأَيْدِيهِمْ ، تَوَكَّدَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ،
فَسَمُّوا « حَلْفَ الْمُطَّيْنِ » .

وَتَعَاهَدَ بَنُو عَبْدِ الدَّارِ وَتَعَاهَدُوا مَعَ حُلْفَائِهِمْ عِنْدَ
الْكَعْبَةِ ، عَلَى أَنْ يَنْصُرُوهُمْ وَلَا يَخْدُلُوهُمْ ، فَسَمُّوا
« الْأَحْلَافَ » .

ثم نعبأت القبائل من الفريقين ،
واستعدت كل قبيلة من أحد الحلفين لقتال قبيلة من
الحلف الآخر ، والإغارة عليهما .

وبينما كان الجميع مقدمين على الحرب ، تداعى
الفريقان للصُلح ، واتفقوا على أن يعطوا بنى عبد
مناف السقاية والرفادة ، وأن تكون الحجابة واللواء
والندوة لبنى عبد الدار ففعلوا ، ورضى كل من
الفريقين .

واستمر كل فريق بساكنة حلفه ، حتى جاء الإسلام .
وبعد هذين الحلفين ، وقبل بعثة الرسول ﷺ بشأ
في مكة حلف آخر سمي باسم «حلف الفضول» .
وقصة حلف الفضول ، أنه لما عم الظلم بمكة - بلاد
الله الحرام - في الجاهلية ، قبل ظهور الإسلام ، دعت
بعض قبائل من قريش إلى تكوين هذا الحلف ،
فاجتمعوا لذلك في دار عبد الله بن جدعان ؛

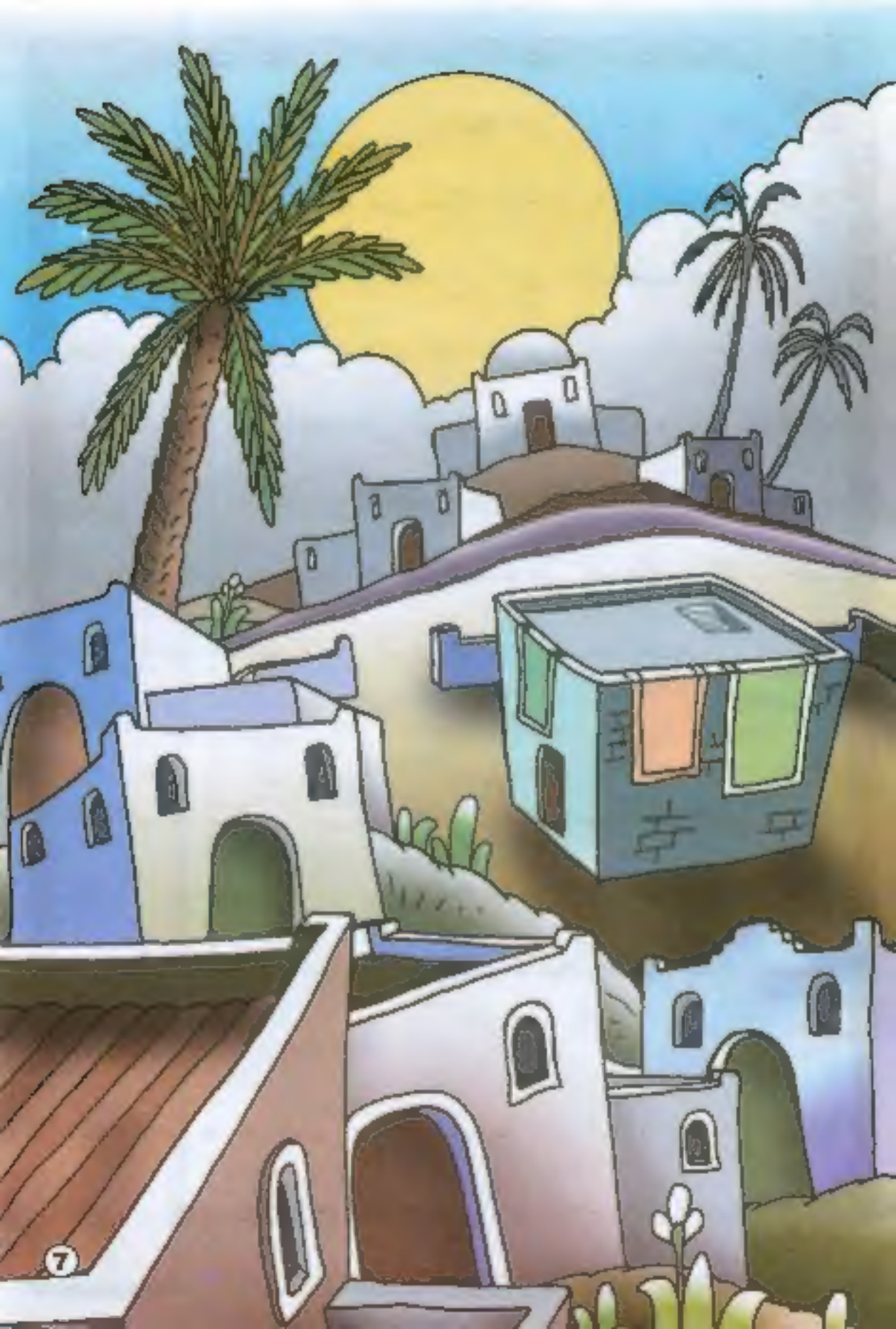
لأنه كان أكبرهم سناً وأكثرهم شرفاً ،
فتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها
أو من غير أهلها إلا قاموا معه ونصروه على من ظلمه ،
حتى ترد إليه مظلمته ..

وقد قال رسول الله ﷺ يمدح هذا الحلف :

«لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ،
ما أحب لو أن لي به حمر النعم ، ولو دُعيت إليه في
الإسلام لأجبت» ..

أى أنه ﷺ لم يكن يحب نقض هذا الحلف ، ولو
أعطى في مقابل ذلك حمر النعم ، وهى النوق
الثمينة ..

ولما تصالح بنو عبد مناف وبنو عبد الدار ولى
الرفادة والسقياية هاشم بن عبد مناف ، فكان إذا
حضر موسم الحج حث قريشاً على جمع الطعام
للحجاج قائلًا :



- يا معشر قريش ، إنكم حيران الله ، وأهل

بيته ، وإنه ياتيكُم في هذا الموسم زوار الله وحُجَّاجُ
بيته ، وهم صيف الله ، وأحق الصيف بالكرامة
صيفه ، فاجمعوا لهم ما تصنعون لهم به طعاماً أيامهم
هذه ، التي لا بُدَّ لهم من الإقامة بها ، فإنه والله لو كان
مالي يسع لذلك ما كلفكُم شيئاً .. وكانت قريش
تستحب له ، فيخرج كل منهم من أمواله ، كل واحد
على قدر طاقته ، وكان هاشم يصنع بهذه الأموال
طعاماً للحجاج ، حتى ينتهي موسم الحج .

وكان هاشم أول من أطعم الحجاج الثريد ، وهو
أخبر المقيت في المرق أو الحليب ، وكان أول من سن
لقريش رحلة الشتاء والصيف للتجارة في بلاد الشام
واليمن .

فلما مات هاشم ولي السقاية والرفادة بعده أخوها
لمطلب بن عبد مناف ، وكان أصغر من هاشم ..

وقد كان المطلب ذا شرف في قومه وفضل .. وكانت
قريش تسميه «الفيض» لسماحته وفضله ..



وكان هاشمٌ قد تزوّج من يثرب امرأة تسمى
سلمى بنت عمرو من بنى النجار ، فأنجب منها ولداً
سمّته شيبه ، وهو الذى عُرف باسم عبد المطلب ..
وسبب تسمية شيبه باسم عبد المطلب ، أنه لما مات
هاشمٌ خرج المطلب إلى يثرب لإحضار ابن أخيه إلى
مكة ، فقالت له سلمى :

— لن أرسله معك إلى مكة ..

فقال لها المطلب :

— لست منصرفاً ، حتى آخذه معى .. إن ابن أخى قد
بلغ وهو غريبٌ عن قومه ، ونحن أهل بيت شرف فى
قومنا ، نلّى كثيراً أمرهم ، وقومهم وعشيرته وبلده
خيرٌ له من الإقامة فى غيرهم ..

فأذنت سلمى لابنها شيبه بالرحيل مع عمه المطلب
إلى مكة ..

حمل المطلب ابن أخيه شيبه على بغيره ،

ودخل به مكة ، فلما رآته قريش ظنت أنه عبد
اشتراه المطلب ، فقالوا : عبد المطلب .. وسموه
بذلك . فقال لهم المطلب

- ويحكم ! إنما هو ابن أحي هاشم قدمت به من يثرب .
فلما مات المطلب ولي عبد المطلب بن هاشم السقاية
والرفادة بعد عمه .. فأقامها للناس ، وأقام لقومه ما
كان آباؤه يقيمون قبله ..

وشرف عبد المطلب في قومه شرفاً لم يبلغه أحد من
آبائه ، وأحبه قومه ، حباً شديداً ..

وهي ذلك الوقت كانت بنو زمزم ، التي تصحر منها
الماء تحت قدمي الصعير إسماعيل قد ردمت وبسى
الناس أمرها تماماً .. ردمتها حرمهم حين طردت من
مكة ودفنت فيها عرالي الكعبة ..

وكانت قد حُصرت في مكة آبار كثيرة لسقاية
حجاج بيت الله الحرام

وأراد الله (تعالى) أخير بعد المطلب . بأن

يكون له شرف إعادة حجر نمر زمرد . فبما كان
عبد المطلب نائماً في الكعبة - وكان من عادته أن ينام
في حجر اسماعيل - فسمع هاتفاً ناديه قائلاً

- احفر حية

فاستيقظ عبد المطلب متسائلاً في ذهنه

- ومن عيه

ولكن الهاتف كان قد نادى به

فلما كان اليوم التالي ذهب عبد المطلب بنائم على
مكانه . فسمع من ناديه قائلاً

- احفر نمر

فاستيقظ عبد المطلب متسائلاً

- وما نمر ؟

ونكس الهاتف كان قد انصرف عنه

وفى اليوم الثالث جاءه الهاتف قائلاً :
- احفر المصنونة ..



فاسْتَيْقِظْ عَبْدُ الْمَطْلِبِ مُتَسَائِلًا :

- وَمَا الْمَضْنُونَةُ ؟ ! وَلَكِنْ الْهَاتِفُ كَانَ قَدْ انْصَرَفَ

عَنْهُ ..

وَفِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ جَاءَهُ الْهَاتِفُ وَهُوَ نَائِمٌ فَقَالَ لَهُ :

- احْفَرْ زَمْزَمَ ..

فَقَالَ عَبْدُ الْمَطْلِبِ :

- وَمَا زَمْزَمُ ؟ !

فَقَالَ لَهُ :

- لَا تَنْزِفُ أَبَدًا (أَيُّ لَا يَفْرُغُ مَاؤُهَا) وَلَا تُذَمُّ (أَيُّ لَا

تُوجَدُ قَلِيلَةُ الْمَاءِ) تَسْقِي الْحَجِيجَ الْأَعْظَمَ ، وَهِيَ بَيْنَ

الْفَرْتِ وَالْدَّمِ ، عِنْدَ نُقْرَةِ الْغُرَابِ الْأَعْصَمِ ، عِنْدَ قَرْيَةِ

النَّمَلِ ..

وَقَدْ سُمِّيَتْ زَمْزَمُ بِاسْمِ طَيْبَةٍ لِأَنَّهَا كَانَتْ لِلطَّيْبِينَ

وَالطَّيِّبَاتِ مِنْ أَبْنَاءِ إِسْمَاعِيلَ ، وَسُمِّيَتْ بَرَّةً لِأَنَّهَا

فَاضَتْ عَلَى الْأَبْرَارِ وَغَاضَتْ عَنِ الْفُجَّارِ ،
وَسُمِّيتَ مَضْنُونَةً لِأَنَّهَا ضُنَّ بِهَا عَلَى غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ فَلَا
يَشْبَعُ مِنْهَا مُنَافِقٌ ..

حَدَّدَ الْهَاتِفُ لَعَبْدِ الْمَطْلَبِ الْمَوْضِعَ الَّذِي سَيَحْفَرُ فِيهِ
بُئْرَ زَمْزَمَ ، وَهُوَ بَيْنَ صَنْمَيْنِ يُقَالُ لَهُمَا إِسَافٌ وَنَائِلَةٌ ،
وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَنْحَرُ عِنْدَ هَذَيْنِ الصَّنَمَيْنِ ذُبَائِحَهَا ..
فَخَرَجَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ حَامِلًا مِعْوَلَهُ وَمَعَهُ ابْنُهُ الْحَرِثُ ،
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَلَدٌ غَيْرُهُ ، وَذَهَبَ إِلَى
الْمَوْضِعِ الَّذِي حَدَّدَهُ لَهُ الْهَاتِفُ ..

وَبَدَأَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ يَحْفَرُ ، فَلَمَّا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ يَحْفَرُ
قَامُوا إِلَيْهِ ، وَحَافِلُوا مَنَعَهُ مِنَ الْحَفْرِ بَيْنَ صَنْمَيْهِمْ
الَّذِينَ يَنْحَرُونَ عِنْدَهُمَا .. فَلَمَّا عَرَفُوا أَنَّهُ يَحْفَرُ زَمْزَمَ
قَالُوا لَهُ :

- إِنَّهَا بُئْرُ أَبِيْنَا إِسْمَاعِيلَ وَإِنْ لَنَا فِيهَا حَقًّا ،
فَأَشْرِكْنَا مَعَكَ فِيهَا ..

فقال لهم عبد المطلب :

— ما أنا بفاعل .. إن هذا الأمر قد خصصت به
دُونَكُمْ وأعطيته من بينكم ..

وهكذا وقع الخلاف بين عبد المطلب وقومه

(يتبع)

الجزء الثاني من الكتاب
الكتاب الثاني من الجزء الثاني

فُصْحُ الْأَنْبِيَاءِ

الكتاب التالي

محمد (صلى الله عليه وسلم)

(٣)

حضر زمر

أحرص على اقتنائه

